

الفصل الخامس

الحرب على العراق وتوازن القوى الدولي

دراسة استراتيجية

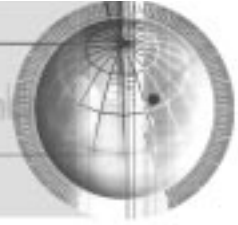
الدكتور

عدنان الهياجنة

أستاذ العلوم السياسية المشارك، قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، برنامج

العلاقات الدولية والدراسات الاستراتيجية،

الجامعة الهاشمية، الزرقاء، الأردن



الحرب على العراق وتوازن القوى الدولي دراسة استراتيجية

الدكتور / عدنان المياجنة
hayajneh1@yahoo.com

مقدمة:

تحاول هذه الدراسة بحث الخيارات الممكنة للعالم العربي والإسلامي في ظل التغيرات التي نشأت عن الحرب الأمريكية على العراق، وتحليل القوة الأمريكية الفعلية بعد الحرب على العراق وتسليط الضوء على كل من الدور الصيني والروسي والأوروبي في مرحلة ما بعد الحرب على العراق؛ من حيث مدى تأثيرها في التفاعل الدولي؛ بالاعتماد على قراءة علمية وواقعية للقدرات العسكرية والاقتصادية والسياسية للدول العظمى.

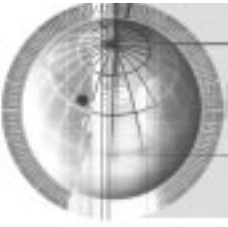
والركيزة الأساسية لهذه الدراسة هي: كيف يمكن أن يستفيد المفكر العربي والإسلامي من هذه التحولات لتقوية عالمه لمواجهة حالة الهيجان الأمريكية في العالم، والتي نشأت بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر؟ ومحاولة قراءة واقع التفاعل الدولي بين الدولة المهيمنة والدول العظمى الأخرى، وتأثير هذه التفاعلات في العالم العربي الإسلامي.

وتتخذ هذه الدراسة المحاور الآتية أساساً لها:

- الافتراضات الأساسية التي قامت عليها الدراسة.
- تقييم واقع القوة الأمريكية بعد الحرب الأمريكية على العراق.
- تقييم واقع القوة الصينية، واحتمالات الدور الصيني في العلاقات الدولية: حدود الدور واحتمالاته المستقبلية، وتأثير ذلك في العالم الإسلامي.
- تقييم واقع القوة الروسية، واحتمالات الدور الروسي في العلاقات الدولية: حدود الدور واحتمالاته المستقبلية، وتأثير ذلك في العالم الإسلامي.
- تقييم واقع القوة الأوروبية، والعلاقات الأوروبية الأمريكية، وتأثير الدور الأوروبي في العلاقات الدولية: حدود الدور واحتمالاته المستقبلية، وتأثير ذلك في العالم الإسلامي.
- مناقشة بعض الخيارات الاستراتيجية للعالم العربي الإسلامي في ظل نتائج الدراسة.

وتتمثل أهمية هذه الدراسة في أنها تعرض مراجعة موضوعية لواقع توزيع القوى الدولية بعد الحرب على العراق. كما أنها تقدم نموذجاً للتفاعل الدولي من منظور عربي إسلامي، يقوم على فهم الواقعية السياسية بعيداً





الحرب على العراق وتوازن القوى الدولي



ملف العراق

عن العاطفية وعالم التأمّلات ، وفهم واضح بأن أمريكا تعلن محاولة سيطرتها على العالم بشكل جلي .

والسؤال الذي تطرحه الدراسة : ما الذي سنفعله للتعامل مع هذه التحديات؟

كما ستشير الدراسة إلى أن الحرب الأمريكية على العراق يجب أن تُفهم في سياق أهمية صحوة العالم العربي الإسلامي ، واعتماده على ذاته بغضّ النظر عن كل المحبطات ، ورغم القوة الأمريكية والضعف العربي المصطنع الذي كرسته آلة الإعلام الغربي والعربي للإبقاء على الحالة الراهنة في العالم العربي الإسلامي للاستمرار ، واستفادة المسيطرين والمسؤولين من الواقع الراهن في العالم العربي ؛ خاصة أصحاب مقولات : هل يمكن أن نقف في وجه أمريكا؟ مع أن السؤال الذي يجب أن يكون مطروحاً هو : هل نستطيع أن نقف مع أنفسنا أولاً؟

الافتراضات الأساسية للدراسة:

* إن السياسة الأمريكية هي سياسة مقاومة لأية قوة مضادة لها بغضّ النظر عن مصدرها ، ويشكّل سعيها المستمر في التعامل ضد الاتحاد السوفييتي والاتحاد الأوروبي والعالم العربي الإسلامي جزءاً من هذه الاستراتيجية التي تحاول تطبيقها ، وهذا ليس من باب الأسرار ؛ فهو منشور بشكل غير مباشر في الاستراتيجية الأمريكية التي نُشرت في سبتمبر عام ٢٠٠٢م ، وواضح أيضاً في التصريحات الرسمية لأقطاب الإدارة الأمريكية^(١) .

* ما زالت الولايات المتحدة الأمريكية تسيطر على ميزان القوة الدولي في العالم من الناحية الإحصائية ، حيث تسيطر أمريكا على أكثر من (٥١ ٪) من القوة العسكرية في العالم ، كما أنها تحوز أكثر من ثلث الاقتصاد الدولي ؛ لكنها تعاني من مشكلة القوة الثقافية ، حيث إن أمريكا غير مهيمنة ثقافياً^(٢) .

* إن العالم العربي والإسلامي مرّز عليه بشكل كبير في الاستراتيجية الأمريكية ؛ لأنه يشكّل قوة كامنة أكثر من الصين وروسيا والدول الأوروبية - كما سيشير التحليل في هذه الدراسة - ؛ لذا فإن تفكيك وحدة العالم العربي والإسلامي وأية مبادرات للتوحد العربي هو في صلب استراتيجية الإدارة الأمريكية ، فالدراسات التي نُشرت مؤخراً في الولايات المتحدة الأمريكية تدعو إلى حل «منظمة أوبك» و «مجلس التعاون الخليجي» ، والتعامل مع كل دولة عربية على حدة ، واستخدام سياسة «فرّق تسد»^(٣) .

* تقوم الاستراتيجية على مبدأ استخدام القوة ، ولا يمكن التعامل معها إلا ضمن هذا المفهوم ، وليس بالضرورة القوة العسكرية حسب المقاييس الدولية ؛ وإنما القوة الحضارية التي تحسب أمريكا لها ألف حساب .

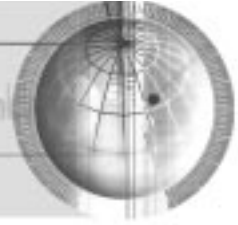
(١) انظر : Powell, 2004 .

(٢) انظر : هياجنة ، ٢٠٠٣م .

(٣) انظر : Henderson, 2003 .



الحرب على العراق وتوازن القوى الدولي



فلن يكون العالم العربي هو أوروبا الحرب الباردة بالنسبة لأمريكا، وإن حصل ذلك فانظر إلى ردة الفعل الأوروبية تجاه الولايات المتحدة الأمريكية خلال التحضير للحرب الأمريكية على العراق؛ أي أن احتلال العراق يجب أن يشكّل صحوة للجميع في العالم العربي والإسلامي، ولا شك أن لدى العالم العربي الإسلامي قوة كامنة تؤهله للسيطرة على العالم.

* إن واقع العالم العربي والإسلامي ليس هو الواقع الحقيقي الذي بنته الشعوب العربية والإسلامية؛ إذ هو واقع لا يمثل إلا الأمن الشخصي للقيادات السياسية التي أوصلت هذه الأمة إلى هذا المصير، وعليه لا يمكن أن نقول إن هذا الواقع يمثل العالم العربي والعالم الإسلامي، ولا يجوز الحكم عليه؛ لذا فإن سياسة أمريكا تقوم على الإبقاء على الوضع الكائن؛ لأن البديل لن تقبل به أمريكا لأنه يمكن أن يسمح لأمريكا أن تقوم بما تقوم به الآن. أما التغيير المطلوب أمريكياً في العالم العربي فهو يبقى مطلوباً ما دام يحقق المصالح الأمريكية.

واقع القوة الأمريكية بعد الحرب على العراق:

لقد أدت الحرب الأمريكية على العراق إلى تغيير طبيعة النظام الدولي وأجندة العلاقات الدولية؛ من حيث إظهار قضايا جديدة في غاية الأهمية ستؤدي دوراً كبيراً في مستقبل التفاعل الدولي؛ خاصة ما يهم العالمين الإسلامي والعربي، مثل التغيير السياسي والديمقراطية والانفتاح على الغرب على الطريقة الأمريكية؛ مما يشكّل تحديات كبيرة للعالم العربي والإسلامي من جهة، والولايات الأمريكية من جهة أخرى^(١).

إن التدخل الأمريكي لصياغة عالم جديد على النموذج و«الكتالوج» الأمريكي؛ هو من أهم التغييرات التي نتجت عن الحرب الأمريكية على العراق. فحسب رأي الجنرال الروسي برزكين^(٢)، في دراسته حول الدروس المستفادة من الحرب على العراق؛ فإن تحليل الوثائق الرسمية لإدارة بوش حول الحرب حدد سياسة أمريكا في نقطتين محددتين للأهداف الأمريكية في العلاقات الدولية، وتشمل:

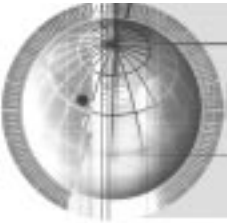
١ - تشكيل نظام أحادي القطبية، مع اعتراف رسمي - دولي بأن أمريكا هي الدولة المسيطرة على هذا النظام؛ إضافة إلى أنها (أمريكا) شرطي العالم؛ وعليه فإن أمريكا هي التي تتحكم بالعالم، حيث تم تهميش دور الأمم المتحدة، ليكون دورها داعماً وليس ريادياً، وحتى دور حلف الناتو فقد تم تهميشه ليكون دوره مقتصرًا - حسب رأي الجنرال «برزكين» - على أعمال السلام (Peacekeeping missions) في المناطق (المحررة) من قبل القوات الأمريكية، فالدور المطلوب من المنظمات الدولية والدول العظمى هو دور هامشي يتمثل في «غسيل الصحون».

٢ - عدم السماح لقيام نظام عالمي متعدد القطبية (Multi-polar world order)، ومحاولة هدم أية فكرة

(١) انظر: Jentleson, 2003 - 2004.

(٢) انظر: Berezkin: 2003:139 - 140.





الحرب على العراق وتوازن القوى الدولي



ملف العراق

في أي تجمع إقليمي في مناطق العالم، والسيطرة على أي مقاومة دولية مهما كانت للهيمنة الأمريكية، وهذا يعني - برأي «برزكين» - أن النظام الجديد الذي تسيطر عليه الولايات المتحدة الأمريكية سيمنع قيام أي دولة عظمى أخرى في العالم. وهذا ما ستحاول هذه الدراسة بحثه في علاقات الدول العظمى مع الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا يعني ظهور أنواع من الحروب؛ مثل حروب الطاقة وحروب التجارة بين أمريكا وأطراف العالم؛ لذا - من وجهة نظر «برزكين» - فإن الحرب على العراق نتج عنها محاربة أية قوى إقليمية قد تنافس الولايات المتحدة الأمريكية، وأيضاً فهي تمثل الخطوات الأولى لتأمين الهيمنة الأمريكية غير المشروطة على العالم.

وحسب رأي الجنرال «جاريف»^(١)، والذي يناقش بعض الدروس المتعلّمة من الحرب الأمريكية على العراق، فإن هناك نمطية أمريكية تتكون من عناصر متتابعة سياسياً ودبلوماسياً، واقتصادياً، ومعلوماتياً، ونفسياً، وعسكرياً، وأفعال أخرى تصب في استراتيجية كاملة ومحكمة للتعامل مع أي سيناريو ضد الدولة غير المرغوب فيها من وجهة النظر الأمريكية، وقد استخدمتها أمريكا في العراق، ويجب أن تتعلم الدول الأخرى منها. ففي الحالة العراقية تم ما يلي قبل العمليات العسكرية (Military Operations) والاحتلال الأمريكي المباشر للعراق^(٢):

- ١ - اعتبار الدولة المستهدفة دولة مارقة (Rogue State).
- ٢ - عقوبات اقتصادية طويلة (Economic Sanctions).
- ٣ - عزل سياسي (Political Isolation).
- ٤ - ضغط إعلامي على السكان.
- ٥ - تشكيل الرأي العام الدولي حول العراق.
- ٦ - تحييد الحلفاء أو المتعاطفين مع الدولة المستهدفة، واتخاذ بعض الأفعال لإضعاف أية قدرات عسكرية لها.

وإذا ما طُبّق ذلك على العراق نجد ما يلي:

* أن العراق مُنع من شراء أي أسلحة جديدة، كما مُنع العراق من شراء أي قطع غيار لتحديث أسلحته التي أصبحت قديمة وخارجة من الخدمة بعد حرب ١٩٩١م، خاصة أن كثيراً من أسلحته قد دُمّرت واستُهلكت خلال الضربات الأمريكية على مناطق حظر الطيران (No-Fly Zones) التي فرضت على شمال العراق وجنوبه.

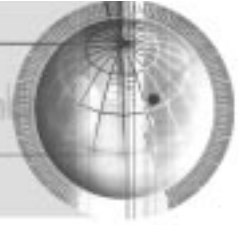
(١) انظر: Gareev, 2003:171.

(٢) انظر: Gareev, 2003: 171.





الحرب على العراق وتوازن القوى الدولي



* لقد تم استحداث الضغوط على المدنيين والعسكريين سياسياً واقتصادياً ونفسياً، والتي أوصلتهم إلى مرحلة عدم القدرة على التفكير بالمقاومة لمدة طويلة، وذلك من خلال الحصار المدمر الذي استخدمته الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية.

* ثم جاءت الضربات العسكرية الجوية عليهم لتدمير كل النيات (will) للمقاومة.

* ثم جاءت الضربات الأرضية والاحتلال العسكري وما نتج عنه من تدمير وخراب شامل^(١).

وهذا درس ومنهجية يمكن أن يتعلم منها العرب والمسلمون في آليات تعاملهم مع الواقع الراهن ومع الاستراتيجية الأمريكية؛ لذا يجب أن لا يُكرر درس العراق مرة أخرى. ويبدو أن الدول العربية لا تتعلم الدرس! فسلوكيات ليبيا وسوريا وإيران- والتي تعتبرها الولايات المتحدة الأمريكية دولاً مارقة، وتم استخدام الحصار الاقتصادي والسياسي عليها- قد بدأت بالتجاوب مع الشروط الأمريكية حتى لا يُطبَّق عليها ما بقي من خطوات تمت في العراق - كما نوقشت آنفاً.. كما أن كثيراً من الدول العربية بدأت بتطبيق الأفكار الأمريكية؛ لأن غير ذلك - من وجهة نظر الأنظمة الرسمية - سيعرضها لمصير العراق، وبشكل أوضح مصير القيادة العراقية، وهي لا ترغب بذلك، وهذا يعزز من افتراضات الدراسة آفة الذكر؛ أن الواقع العربي هو واقع مصطنع، يمثل مصلحة الأنظمة الحاكمة. لكن يبدو أن المطالب الأمريكية لن تنتهي، فلينظر القادة العرب إلى تجربة أمريكا مع عرفات وما آلت إليه الأمور!

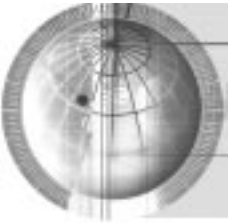
والدرس الثاني من الحرب الأمريكية على العراق من ناحية تطوير الأسلحة، حسب رأي جاريف، هو أنها لم تُظهر نتائج مهمة؛ لأنه لم تتوفر عسكرياً للقوات الأمريكية حرب فعلية مع خصم عسكري قوي يمكن من خلاله استخلاص بعض الدروس أو الاستراتيجيات العسكرية سواء الناجحة أو التي أخفقت. فقد كانت الحرب انتقاماً عسكرياً متقدماً المستوى على دولة ضعيفة جداً؛ لذلك فإن القوة الأمريكية العسكرية لم يتم اختبارها فعلياً خلال الحرب؛ لأن قوات الخصم العراقي «لم تشكل أي ضغط أو مقاومة، وبالتالي لم يتم اختبار فعالية القوات والخطط والاستراتيجية الأمريكية في حربها على العراق». لقد استسلم العراق دون حرب في التاسع من نيسان، وبالرغم من غياب أية مقاومة فعلية للقوات الأمريكية فقد حدثت أخطاء كبيرة، وأثبتت الحرب ضعفاً في دقة الحرب الإلكترونية الأمريكية^(٢). ويدافع بذلك الجنرال الروسي عن مقولة مفادها: أن المدرسة العسكرية الأمريكية قد انتصرت على المدرسة الروسية في الحرب الأمريكية على العراق، حيث يشير إلى أن ذلك فيه مبالغة كبيرة، ولماذا لا يتم الاستعانة بشواهد عسكرية تاريخية أخرى مثل ما حدث في فيتنام، حيث انتصرت المدرسة السوفييتية آنذاك على المدرسة العسكرية الأمريكية؟!^(٣)

(١) انظر: Gareev, 2003: 171.

(٢) انظر: Gareev, 2003: 172 - 173.

(٣) انظر: Gareev, 2033: 172 - 173.





الحرب على العراق وتوازن القوى الدولي



ملف العراق

والهدف الاستراتيجي من الحرب على العراق هو تطبيق استراتيجية دومنيو عكسية في العالم العربي والإسلامي؛ أي أن نجاح أمريكا في العراق سيؤدي إلى تخوف الدول العربية والإسلامية الأخرى بحيث تدعن للمطالب الأمريكية. لكن إخفاق أمريكا في العراق هو إخفاق للاستراتيجية الأمريكية في المنطقة والعالم، وهو في مصلحة العالم العربي والإسلامي، وأعني هنا عدم إذعان الدول العربية والإسلامية للمطالب الأمريكية^(١).

الدور الصيني: حدود الدور واحتمالاته المستقبلية، وتأثير ذلك في العالم الإسلامي:

تعدُّ الصين من الدول المؤهلة على المدى البعيد لأداء دور مؤثر في التفاعل الدولي على صعيد العلاقات الدولية. ويمكن اعتبار الصين من الدول التي يجب مراقبة ومتابعة ما تقوم به. لكن واقع الصين - كما ستوضح الدراسة الحالية - دور مؤجل لاستكمال الرؤية الصينية الواضحة، فهي تحاول ممارسة دور مشابه للدول الأوروبية أثناء الحرب الباردة؛ بحيث تركز على الجوانب الاقتصادية، لكنها تختلف عن أوروبا بأنها لم تهمل الجوانب العسكرية. وهي تترك المجال للولايات المتحدة الأمريكية لتقوم بما تقوم به دون أن يؤثر ذلك في مصالحها؛ لأنها تعرف أن ذلك سيضعف من أمريكا على المدى البعيد.

وستناقش المباحث التالية واقع الصين من حيث الخصائص القومية المتعلقة بالقوة الاقتصادية والعسكرية:

واقع الصين الاقتصادي: الصين هي أكثر بلدان العالم سكاناً، وقد اتجهت إلى سياسة تحرير الاقتصاد، حيث شكّل استقطاب القطاع الخاص لاستثمارات أجنبية - حوالي ٥٠٠ مليار دولار، وأصبحت الصين من الدول المصدرة، ونما تصديرها ثماني مرات بين الأعوام ١٩٩٠م و ٢٠٠٣م، وقُدِّر بحوالي ٣٨٠ مليار دولار. ومن حيث التقنية؛ فإن الصين تصدّر حوالي ٣٠٪ من صادرات الإلكترونيات لآسيا، وقُدِّر حجم صادرات الصين بـ ٦٪ من حجم صادرات العالم وذلك عام ٢٠٠٣م، بعد أن كان ٩,٣٪ في عام ٢٠٠٠م، ويقدر حجم النمو الصيني من نمو الاقتصاد والعالم بـ ١٦٪، ويأتي في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا سيضع الصين في مراتب الدول العظمى اقتصادياً في العقود القليلة القادمة؛ مما سيؤهلها لأداء دور مهم في إقليمها بشكل خاص، وفي العلاقات الدولية بشكل عام^(٢).

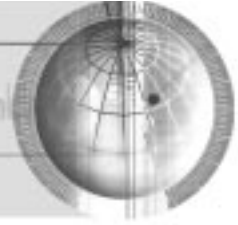
الدور الصيني العسكري: يُقدَّر الإنفاق العسكري الصيني بحوالي ٣-٥ أضعاف ما تنشره التقارير الرسمية الصينية، حيث قدرته وزارة الدفاع الأمريكية في شهر يوليو ٢٠٠٣م بحوالي ٦٥ مليار دولار سنوياً. كما اعتمدت السياسة العسكرية الصينية على الانتقال من الاعتماد على الذات في صناعة الأسلحة محلياً إلى الشراء من الخارج وخاصة روسيا، وذلك يبدو اهتماماً منها بتحديث قدرتها العسكرية بسرعة. حيث اشترت

(١) انظر: Abrahms, 200.

(٢) انظر: Sutter, 2003 - 2004، وانظر أيضاً: Hale and Hale, 2003, Medeiros and Taylor, 2003.



الحرب على العراق وتوازن القوى الدولي



الصين بحوالي ملياري دولار معدات عسكرية من روسيا في التسعينيات . والاعتماد الصيني على روسيا جاء أيضاً نتيجة للمقاطعة الأوروبية للصين ، والتي فرضت عقوبة لها على ما حدث في ميدان «تايمن» في الصين عام ١٩٨٩م ، حيث قامت القوات الصينية بسحق جماعات الديمقراطية وحقوق الإنسان ؛ مما أثار حفيظة الدول الأوروبية حول هذه السلوكيات^(١) .

والمقدرات العسكرية الصينية الذاتية والمعتمدة على الشراء الخارجي ؛ قد أهلت الصين لتؤدي دوراً حيوياً في العلاقات الدولية ، وقد لمس هذا الدور في ردع الولايات المتحدة من التدخل في الحالة التايوانية ، وساهم التسلح العسكري الصيني في منع تايوان من اتخاذ أي سياسات انفصالية ، ولم تستطع أمريكا عمل أي شيء ، وهذا يعزوه المحللون للقوة العسكرية الصينية .

كما طوّرت الصين عدداً كبيراً من الصواريخ ، خاصة عام ٢٠٠٣م ، بمعدل ٤٥٠ صاروخ ، وهذا يؤهل الصين لحرية التصرف في منطقتها على الأقل ، ويمكن - حسب تقديرات عسكرية - أن تسيطر الصين على تايوان في زمن قياسي مفاجئ يحول دون تدخل الولايات المتحدة الأمريكية^(٢) .

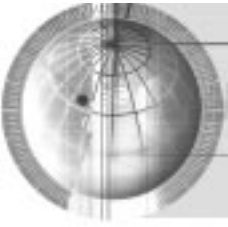
وحسب تقديرات لجنة خبراء (Task Force) - وهي لجنة منبثقة عن مجلس العلاقات الخارجية Council of Foreign Relations في الولايات المتحدة الأمريكية - والتي أجرت دراسة عام ٢٠٠٣م حول القوة الصينية العسكرية ؛ فإنها تتوقع بأن تتفوق الصين على اليابان في القوة العسكرية خلال العقد أو العقدين القادمين ، وبحيث تصبح الصين الدولة الأولى في آسيا عسكرياً . ومن وجهة النظر الأمريكية فإن الولايات المتحدة تستطيع التعامل مع التقدم العسكري الصيني ، لكن الباحث يشير إلى قلق الدول المجاورة للصين ، فيشير إلى تايوان واليابان والهند التي اشتكت وأبدت قلقاً من البناء والتقدم العسكري الصيني^(٣) .

ويضاف إلى مصدر القوة الصيني امتلاكها للقوة النووية ، ونشر القوة النووية في العالم ، فالصين - كما يشير تقرير مجلس العلاقات الخارجية - لا يمكن أن تفوق قوتها قدرة الولايات المتحدة الأمريكية النووية ، إلا أن التقرير يشير إلى تطوير الصين لنوعية وتعداد قوتها النووية ؛ مما يعطي الصين قدرة على الضربة الثانية (Second Strike Capability) ، وهذا برأي الدراسة الحالية مقلق للولايات المتحدة الأمريكية ، خاصة في حالة حدوث هجوم نووي أمريكي على الصين ، وأيضاً في منطقة تملك معظم القوى العظمى فيها قدرات نووية مثل اليابان والهند وباكستان وكوريا الشمالية . وكما يشير (Sutter, 2003 - 2004) فإن أمريكا قد تكون قلقة من نشر الأسلحة النووية الصينية إلى دول مثل باكستان وإيران وشمال كوريا ، وقد تضغط أمريكا على الصين لأن ذلك سيؤثر فيها في المستقبل . وحسب رأي الدراسة الحالية ؛ فإن الحل الأمثل لمواجهة النفوذ الأمريكي

(١) انظر : Sutter, 2003 - 2004: 81 .

(٢) انظر : Sutter, 2003 - 2004: 81 .

(٣) انظر : Sutter, 2003 - 2004: 81 .



الحرب على العراق وتوازن القوى الدولي



ملك العراق

وردعه هو امتلاك سلاح نووي .

تشير التجربة الباكستانية وتجربة شمال كوريا إلى ذلك ، فالولايات المتحدة الأمريكية لم تستطع فعل عمل عسكري ضدها لأنها تملك سلاحاً نووياً؛ لذلك يعتقد بعضهم أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت متأكدة من خلو العراق من أي أسلحة دمار شامل وإلا لما قامت بالعمل العسكري ضدها .

وانعكست القدرة العسكرية والاقتصادية الصينية على دورها في السياسة الخارجية والعلاقات الدولية ، حيث إن هناك مؤشرات تشير إلى أنها تعتبر القوة الأولى في آسيا ، بالإضافة إلى مشاركتها في المنظمات والهيئات الدولية على المستوى الدولي ، لكن صنّاع القرار في الصين اتخذوا موقفاً تدخلياً محسوباً (Low-Risk approach) فيما يتعلق بمعظم القضايا الدولية . وتتبع الصين نهجاً يحافظ على تقدمها الاقتصادي والعسكري ، ويطمئن جيرانها ودول العالم بالنسبة لنياتها ؛ مما يضمن لها الاستمرار في تحقيق أهدافها العسكرية والاقتصادية دون تدخل أجنبية من الآخرين ، وعليه تضمن وصولها كدولة عظمى ؛ لذا فالصين لا تستخدم أسلوب المواجهة مع الآخرين مثل الولايات المتحدة ، أو مع جيرانها مثل اليابان أو الهند حتى لا تغضبهم . والصين ترفع شعار «الصين أولاً» من خلال التركيز على البعد الداخلي والعمل بصمت ، لكن تدخلت أمريكا في أفغانستان قد أزعجها لكنها لم تفعل شيئاً كثيراً ، وخلال الحرب على العراق فإن الصين قد بقيت في ظل فرنسا وروسيا في مجلس الأمن ، وفي الوقت نفسه فإنها وعدت بأنها لا تقف عائقاً أمام المشروع العسكري الأمريكي في العراق ، وعليه فإن منهج الصين هو (Passive Approach) ، وهي مع الإجماع الدولي فتركيز الصين هو على قضية تايوان ولا يتعداه إلا إذا خدم المصالح الصينية مباشرة . وعليه يعتقد بعضهم أن الصين تفتقد الثقة لممارسة تأثيرها في الشؤون الدولية . ومع مرور الوقت فإن الصين قادمة كقوة مؤثرة في العالم (١) .

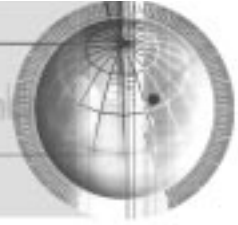
إن العالم العربي والإسلامي يجب أن يفهم توجهات الصين الآتية الذكر ؛ خاصة أنها تركّز على التحديث الداخلي قبل الانتقال إلى التعامل الدولي وأخذ المواقف ، فهي كما يشير التحليل السابق لن تتدخل إلا إذا كانت مصالحها متضررة بشكل مباشر ، وإلا إذا كان هذا التدخل يخدم مصالحها بشكل كبير ، وعليه فإن آلية التفكير العربي يجب أن تدرك أن الصين دولة مهمة في المستقبل ، وعليها بناء جسور العلاقة معها ليس لمقاومة أمريكا ؛ بل على الأقل لتكون الصين في موقع محايد وراذع للسياسة الأمريكية ، وبذلك قد تستفيد الدول العربية والإسلامية بشكل كبير وإن كان غير مباشر .

والصين نتيجة لتقدمها الاقتصادي تحتاج إلى مزيد من نפט دول العالم العربي ، كما أنها بحاجة إلى الأسواق العربية ، وهذا يؤمن للعالم العربي الإسلامي عامل ضغط ، يمكن أن تؤدي دوراً في تحديد مستقبل العلاقات الصينية مع العالم العربي والإسلامي ، ويمكن إذا ما تمت ممارسة الضغوط بشكل ناجح أن يؤثر ذلك

(١) انظر : Medeiros and Taylor, 2003 .



الحرب على العراق وتوازن القوى الدولي



إيجابياً في الواقع العربي والإسلامي، لكن التفكير العربي الإسلامي في دور مهم للصين يجب أن يكون على المدى البعيد؛ لأنه في المدى القصير لا يحتمل أن نتوقع أو نركن لأي دور فاعل يمكن أن تقوم به الصين لمواجهة الهيمنة الأمريكية في العالم العربي الإسلامي.

الدور الروسي: حدود الدور واحتمالاته المستقبلية، وتأثير ذلك في العالم الإسلامي؛

إن الواقع الروسي الحالي مشابه إلى حد كبير لواقع بريطانيا بعد ظهور القوة الأمريكية قوة مهيمنة في العالم، فالسياسة البريطانية ما زالت تعيش على أمجاد الماضي، كما أن روسيا ما تزال تعيش على الانطباع السياسي لدى الناس والذي ارتبط بقوة الاتحاد السوفيتي. ويبدو أنه لم يبق من روسيا إلا رديفها من الاسم. وستعرض الدراسة تعريفاً للقوة العظمى، وواقع الخصائص القومية المحددة للقوة الروسية المبالغ فيها في الإعلام العربي.

يشير «رومر و وولندر»^(١) في تعريفهما للدولة العظمى إلى العناصر الآتية:

- ١ - التوسع الجغرافي.
- ٢ - تقدم ونمو اقتصادي سريع.
- ٣ - قوة في مجلس الأمن.
- ٤ - القدرة على مقاومة ومعارضة أمريكا في كل خطوة تقوم بها على الساحة الدولية.
- ٥ - مصادر طاقة كبيرة.
- ٦ - مصادر مواد خام مهمة.
- ٧ - تأثير سياسي واسع.
- ٨ - قيادة سياسية ديناميكية.

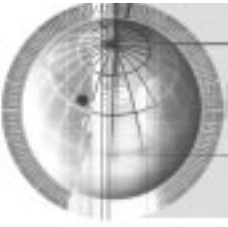
وبعد ذلك يقوم الباحثان بتطبيق هذه الخصائص على روسيا، ويريان أن تطبيقها على روسيا يشير إلى ضعف وليس قوة، وعليه يبنيان نتائجهما بأن ذلك يؤثر في قدرة روسيا على التعامل مع قضايا دولية كالإرهاب، والتخلف، وانتشار أسلحة الدمار الشامل، وعدم الاستقرار. هذه هي الفكرة الأساسية للدراسة.

وملامح الدور الروسي تعتمد على القدرات الروسية الحالية، وتبدو أن محصلة مراجعة القدرات السياسية والعسكرية والاقتصادية الروسية تشير إلى دور محدود في السياسات العالمية؛ برغم بعض مؤشرات التعافي في النواحي الاقتصادية والسياسية:

- في عام ١٩٩٨ م سقط النظام المالي الروسي، وبعد ذلك نما الاقتصاد الروسي بمعدل ٣, ٤ عام ٢٠٠٢ م، و ٧, ١ في النصف الأول من عام ٢٠٠٣ م، واحتياطها من العملات الصعبة أكثر من ٦٤ ملياراً.

(١) انظر: (Rumer and Wallander, 2003-2004).





الحرب على العراق وتوازن القوى الدولي



ملف العراق

- تتمتع روسيا بعملة مستقرة، وفائض في الميزانية الفيدرالية .
- تعدُّ روسيا الدولة الثانية المصدرَّة للنفط في العالم، والأولى في تصدير الغاز، وتتمتع بقيادة سياسية شابة ومن أكثر القيادات العالمية ديناميكية، حيث إن انتقال السلطة في بداية عام ٢٠٠٠م من بوريس يلتسين إلى فلاديمير بوتين أعطى أملاً بعودة روسيا قوة عالمية فاعلة في العلاقات الدولية؛ إذ قام بوتين بإصلاحات داخلية على المستوى الاقتصادي أعطت نوعاً من الاستقرار والثقة لروسيا .

لقد مارس بوتين دوراً بارزاً في إعادة الدور الفاعل لروسيا في العلاقات الدولية بعد عقد من التراجع؛ كان أبرزه خروج الروس من القواعد العسكرية في فيتنام وكوبا . واتبع بوتين سياسة براجماتية فيما يتعلق بالسياسة الخارجية، وفيما يتعلق بمنطقة الشرق الأوسط؛ لذا دعم «الحرب الأمريكية ضد الإرهاب الدولي» منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حتى حسب بعضهم أن الشراكة الأمريكية - الروسية قد تكون أهم من الشراكة الأمريكية مع الدول الصديقة من الحلفاء الأوروبيين .

- تتمتع روسيا بقدرة التأثير في الآخرين في محيطها الإقليمي وفي العالم، كما أن تعاونها مع أمريكا في الحرب على الإرهاب وانتشار الأسلحة النووية شرط أساسي وعامل مهم لإنجاح سياسة الولايات المتحدة الأمريكية . لكن لا تستطيع روسيا أن تقف أمام أمريكا؛ فعندما عارضت روسيا استخدام القوة في كوسوفا، وقام الناتو باستخدامها بالرغم من معارضة روسيا؛ لم تستطع روسيا أن تقوم بأي شيء للتغيير من هذا الواقع^(١) .

وبالرغم من كل المؤشرات الاقتصادية، ومؤشرات القيادة السياسية، فإن التمهيد في الواقع الحقيقي لروسيا يشير إلى وجود صعوبات تقف عائقاً أمامها في أن تؤدي دوراً مهماً في العلاقات الدولية؛ للأسباب الآتية:

١ - الواقع العسكري:

- إن اختبار الشيشان كان من المؤشرات الحقيقية على تراجع القوة العسكرية لروسيا .
- يمكن القول بأن الجيش الروسي الذي لا يملك المصادر لتحديثه يسير في تراجع مستمر منذ فترة طويلة، فقد تراجع عدد الجيش الروسي من ٤ ملايين إلى ٢, ١ مليون، ومع ذلك التراجع لم تسمح الميزانية العسكرية بتحسين أحواله، ومع تراجع الرواتب تقاعد كثير من القيادات، ولم يستطع القائمون على الجيش تجديد دمائه من خلال تجنيد بعض الشباب^(٢) .

- تبلغ ميزانية الدفاع الروسية ١١ مليار دولار تقريباً عام ٢٠٠٣م، و ١٣, ٥ مليار دولار في عام ٢٠٠٤م، وبهذه الميزانية لا تستطيع روسيا أن تجند جيشاً حقيقياً قوياً . ولا تمثل ميزانية الدفاع الروسية شيئاً يذكر في مقابل

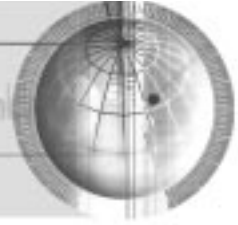
(١) انظر : Rumer and Wallander, 2003 - 2004 .

(٢) انظر : Rumer and Wallander, 2003 - 2004: 61 .





الحرب على العراق وتوازن القوى الدولي



- مثلاً - الميزانية العسكرية الأمريكية أو الميزانية الصينية - كما أسلفت سابقاً^(١). وقد أثر ذلك في فاعلية الجيش الروسي؛ حيث إن برامج التدريب والتطوير فيه صارت غير واردة، ومن الأمثلة على التراجع في التدريب العسكري ظهور حالات من العجز الروسي العسكري؛ مثل إخفاقهم في إنقاذ فريق قيادة الغواصة كورسك (Kursk) بعد غرقها عام ٢٠٠١م، وفقدان الغواصة النووية عام ٢٠٠٣م، وخلال أحد التدريبات العسكرية التي حضرها وزير الدفاع الروسي حدث تصادم بين طائرتين (MI.24 Helicopters)، وانتقد بعضهم ذلك وبنى الانتقادات على عمر الطائرات الذي يزيد عن (٢٠) سنة، أو عدم تدريب الطيارين؛ لذا فإن حالة الجيش الروسي يرثى لها، حيث صار بحاجة إلى مصادر عالية لتطويره.

وبناء على ذلك؛ يرى كثير من المحللين أن دور روسيا في الأمور الأمنية سيكون هامشياً ولا تأثير له، وعليه سيكون تأثير روسيا في حفظ الأمن في منطقتها هامشياً، وقد يعطي دوراً لفاعلين آخرين في الأمن الإقليمي الروسي.

٢ - الواقع الاقتصادي:

بالرغم من المؤشرات الاقتصادية المالية؛ فإن واقع روسيا الاقتصادي ضعيف جداً؛ فنصف الصادرات الروسية تعتمد على النفط، وفي الوقت نفسه فإن مقدرة روسيا على الاستمرار في ظل واقع المعدات الروسية لإنتاج النفط غير محدد في المستقبل؛ خاصة في ظل واقع أسعار النفط العالمية^(٢).

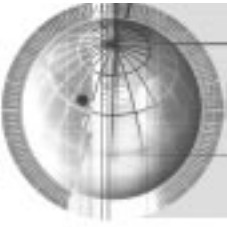
٣ - العامل السكاني:

لقد تراجع عدد سكان روسيا منذ عام ١٩٩١م من ١٥٠ مليون إلى ١٤٤ مليون عام ٢٠٠٢م، وتتوقع المصادر الرسمية والمتفائلة بأن يكون عدد سكان روسيا عام ٢٠٢٥م حوالي ١٣٦ مليون، وتتوقع الأمم المتحدة ١٢٦ مليون في الوقت نفسه. وهذا يعود إلى ارتفاع نسبة الموتى إلى نسبة المواليد (١٧٧ ميت إلى ١٠٠ مولود) وذلك عام ١٩٩٩م، كما تراجع مؤشر توقع الحياة إلى نسب أعوام ١٩٤٥م، وتراجعت أعداد الشباب المتوقع ولادتهم في عام ٢٠٢٥م إلى ٨ ملايين ذكر من ١٥ - ٢٤ سنة، كما أثر واقع الإدمان على المشروبات الكحولية في الواقع السكاني، إضافة إلى أن لديها أكبر نسبة نمو في فيروس الإيدز في العالم؛ حيث يُتوقع أن يكون عدد المصابين في روسيا ٥ ملايين عام ٢٠٠٥م، وعليه فإن الانكماش الروسي من حيث عدد السكان وزيادة عدد الكبار في العمر؛ سيضع عوائق أمام التقدم ومشاريع النمو الاقتصادي الروسي^(٣).

(١) انظر: هياجنة، ٢٠٠٣م.

(٢) انظر: Rumer and Wallander, 2003: 63 - 65.

(٣) انظر: Rumer and Wallander, 2003 - 2004.



الحرب على العراق وتوازن القوى الدولي



ملف العراق

٤ - العامل الجغرافي :

كان للعامل الجغرافي الاستراتيجي دور مهم في القوة الروسية، لكن الواقع الحالي يشير إلى مزيد من التراجع في ذلك ليصبح عامل ضعف، للأسباب الآتية:

- تتعامل روسيا مع مناطق تتكون من ١١ منطقة زمنية (Time Zone).

- الاتصال بين أجزاء روسيا صعب جداً.

- العامل الجوي يجعل من الزراعة والبناء أموراً صعبة.

- العامل العرقي والاثني عامل سلبي، ففي روسيا أكثر من ٨٩ عرقاً لا بد أن تلبى الحكومة الروسية الفيدرالية مطالبهم^(١).

وتواجه أفكار بوتين مشكلات في تفعيلها نتيجة للبيروقراطية والمصالح الشخصية للشركات الروسية، وعليه فإن الواقع الداخلي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً يضع تحديات وعوائق كبيرة في طريق روسيا لعودتها دولة عظمى في المستقبل القريب؛ لذا فإن مستشارة الأمن القومي كونداليزا رايس تعتقد أن ما يشكّل خطراً على أمريكا ليس هو قوة روسيا إنما ضعفها، فالخوف الأمريكي هو من مستقبل أسلحة الدمار النووي التي تمتلكها روسيا، ويعتقد بعض المراقبين أن أوروبا وروسيا والصين يمكن أن يكونوا تحالفاً لموازنة القوة الأمريكية، لكن الظروف الحالية تجعل من هذا الأمر شيئاً خيالياً.

ومراجعة واقع القوة الروسية لا تُشعر بالأمل من حيث العلاقات الاستراتيجية مع روسيا للتعامل مع الهيمنة الأمريكية على العالم، فروسيا تحاول إرضاء الولايات المتحدة الأمريكية، وقد عبرت مواقفها الرسمية عن ذلك. كما أن واقع الجيش الروسي غير مؤهل لممارسة دور فاعل في السياسة الأمنية للدول العربية، فالجيش الروسي هو مرآة للجيش العربي التي اعتمدت على الدعم الروسي، وعليه فلا نستطيع أن نتوقع منها أكثر في ظل الأوضاع السياسية والاقتصادية التي تعيشها. كما أن دخول روسيا دولة منافسة لدول الخليج العربي في سوق النفط العالمي؛ يجعل منها عاملاً مهماً تلعب به أمريكا ضد الدول العربية، خاصة خطوط مد النفط إلى أوروبا عبر الأراضي الروسية^(٢). وروسيا تعيش في حالة من الضعف الشديد، ولا يمكن التعويل عليها كثيراً خاصة في ظل تراجع نفوذها الدولي، نتيجة لتواضع قدراتها حسب المقاييس الدولية، وإن كان الضعف الداخلي هو المحدد الأساسي لهذا الدور المتواضع الذي يمكن للعالم العربي الإسلامي أن يستفيد منه.

الدور الأوربي: العلاقات الأمريكية- الأوروبية وأثرها في العالم الإسلامي:

لقد أفرزت الحرب على العراق التباين والتنافس المخفي بين أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، ونهجت أوروبا نهجاً مغايراً للنهج الذي تريده الولايات المتحدة، وهو أن تبقى أوروبا تابعة للدور الأمريكي،

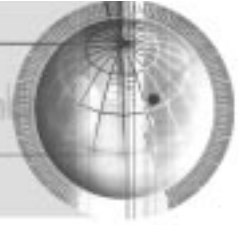
(١) انظر: Rumer and Wallander, 2003 - 2004.

(٢) انظر: Morse and Richard, 2002.





الحرب على العراق وتوازن القوى الدولي



ولا تسمح لها بأن تبني قوتها العسكرية والاقتصادية لمنافسة الولايات المتحدة الأمريكية، كما يعتقد بعض المحللين أن أمريكا يمكنها فصل الدول الأوروبية بعضها عن بعض أو الاستمرار في إهمال دورها؛ كمنهجين أو خيارين استراتيجيين للولايات المتحدة. لكن وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد يعتقد أن «أوروبا مقسمة» هو في مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية، وستستفيد الولايات المتحدة باستمرار من هذا التقسيم^(١).

ويعتقد بعض آخر بأن الترابط الأمريكي-الأوروبي لا يمكن فكّه؛ لأن ذلك سيؤثر سلباً في الجانبين ما دام أن الدور الأوروبي لا يوجد فيه معادة للمصالح الأمريكية. ويبدو أن أمريكا وصلت إلى قناعة في علاقاتها مع الدول الأوروبية بأنه لا مجال لاستخدام الخدمات المجانية التي كانت تقدم لها خلال الحرب الباردة أو كما يقولون بالإنجليزية (No More Free Riding)^(٢).

ويعتقد (Hunter) أن خمسة تغيرات جوهرية أعادت تعريف الموقف الأوروبي في العالم^(٣):

- ١ - نهاية الحرب الباردة: حيث أثرت نهاية الاتحاد السوفييتي في العلاقة الأوروبية-الأمريكية؛ فأصبحت أوروبا مكاناً للتنافس الدولي.
- ٢ - تمتين الاتحاد الأوروبي.
- ٣ - ظهور العولمة.
- ٤ - ظهور الدولة العظمى الوحيدة-أمريكا.
- ٥ - ظهور أوروبا ضمن نظام دولي جديد.

يُجمع كثير من الباحثين على أن أوروبا لا توجد لها سياسة خارجية موحدة؛ بالرغم من الحديث عن برلمان موحد وقوة عسكرية موحدة، فهي تعاني من منافسات داخلية بين حكوماتها، ومن غياب منهج واضح في سياساتها الخارجية، ويقتصر الدور الأوروبي على العمل بعيد المدى، من خلال الاقتصاد والدعم الاقتصادي، للحصول على مزيد من التأثير الدولي في العلاقات الدولية، على عكس المنهج الأمريكي الذي يقوم على استخدام القوة العسكرية المباشرة.

دور الحرب على العراق في العلاقات الأوروبية-الأمريكية:

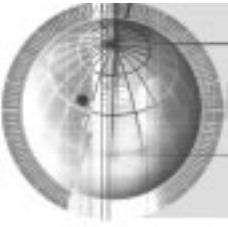
لم يكن هناك اختلاف بين أوروبا وأمريكا حول تعريف الإرهاب وكيفية مكافحة الإرهاب بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فقد اصطفت أوروبا موحدة إلى جانب أمريكا، لكن قيام أمريكا بضرب أفغانستان مع تحالف من القادريين والراغبين وإهمال دور الناتو في تلك الحرب؛ أثار في نفوس الأوروبيين انطباعاً بأن هناك رؤية أمريكية لتأخير أوروبا عسكرياً، واقتصار دورها على «غسيل الصحون».

(١) انظر: Knox, 2003.

(٢) انظر: Hunter, 2003 - 2004.

(٣) انظر: المرجع السابق، (92).





الحرب على العراق وتوازن القوى الدولي



ملف العراق

ومع ذلك فإن أثر الحرب في العراق في العلاقات الأوروبية-الأمريكية كان واضحاً، وقد أدى التباعد الأوروبي-الأمريكي حول العراق دوراً في التأثير في وجهات نظر الولايات المتحدة الأمريكية حول القوة والتأثير الأوروبي^(١). ويتركز الاختلاف الأوروبي-الأمريكي حول العراق في الوسائل والمواقف تجاه القوة والتأثير من خلال ما يأتي:

١ - ماذا يمكن أن تقوم به أوروبا ويمكن أن تفعله؟

٢ - ماذا عن هذا الدور الأوروبي فيما يتعلق بالتوقعات الأمريكية، وكيف يؤثر ذلك في الرؤى الأمريكية لهذا الدور وقوته؟

٣ - كيف يمكن لأمريكا أن تحكم على هذا الدور الأوروبي من خلال ما سبق؟

على عكس ما حدث في أفغانستان، كجزء من الحرب على ما يُسمّى (الإرهاب)، فإن معظم الدول الأوروبية لم تكن قادرة أو غير مستعدة للإسهام في أي عمل عسكري ضد صدام حسين حسب التعريف والرؤية الأمريكية^(٢)، وباستثناء بريطانيا؛ فإن معظم الدول الأوروبية المهمة بالإضافة إلى الرأي العام قد ابتعدت عن الولايات المتحدة الأمريكية؛ من حيث: «ما يجب عمله؟ لماذا يجب عمله؟ من يجب أن يعمله؟ ومن الذي سيعمله تحت القيادة الأمريكية؟»، وهذا أثر في الرؤية الأمريكية لمدى القوة والتأثير الأوروبي من حيث التقديرات الأمريكية غير الموضوعية، والتقديرات الواقعية للقدرات الأوروبية؛ بغض النظر عما إذا كانت أوروبا ستستخدم هذه القدرات^(٣).

ويعتقد «جيفري كيمب»^(٤) أنه بالرغم من الخلافات بين أوروبا وأمريكا؛ فإن دور أوروبا في الشرق الأوسط سيتطور، وسيصبح أكثر بالرغم من خصوصية أية سياسة أمريكية في منطقة الشرق الأوسط لعوامل كثيرة تتعلق بأوروبا؛ منها: القرب الجغرافي، اعتمادها على النفط العربي، والتاريخ المتلازم مع الشرق الأوسط. وعليه فإن مستقبل أوروبا متلازم في ومع الشرق الأوسط، ولهذا فإن ارتباط أوروبا مع الشرق الأوسط أكثر من الارتباط الأمريكي بالمنطقة، ومن ثم يقترح «كيمب» أن تتفاعل أوروبا وتعمل مع الولايات المتحدة الأمريكية من أجل مصالحها في المنطقة^(٥).

ويقترح «كيمب» على أوروبا «أن تفهم أن محاربة حماس وحزب الله هو الجزء الأساسي من محاربة

(١) انظر: Hunter, 2003 - 2004: 102.

(٢) انظر: Hunter, 2003 - 2004:102.

(٣) انظر: Hunter, 2003 - 2004:102.

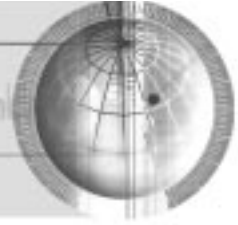
(٤) انظر: Kemp, 2003 - 2004:163.

(٥) انظر أيضاً: kaye, 2003 - 2004:184.





الحرب على العراق وتوازن القوى الدولي



الإرهاب في الشرق الأوسط، وهو في مصلحة أوروبا للقيام بها، وأن على أوروبا أيضاً أن تقوم بدور فاعل في ما يتعلق بالعراق وعرفات، وتشارك بشكل فاعل في عملية تحديث الشرق الأوسط التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية؛ لأنه من غير ذلك فإن أوروبا وعلاقتها مع الولايات المتحدة الأمريكية ستبقى في تراجع^(١)، ويشير إلى أهمية التعاون أيضاً بين أوروبا والولايات المتحدة في أزمة الشرق الأوسط.

يشير كلايسون (Calusen, 2002) في مقالته إلى الكاتب البريطاني في صحيفة جارديان جورج مونبويت إلى أن «أمريكا تتصرف كدولة إمبريالية، وعادة الدول الإمبريالية توسع إمبراطوريتها حتى تجد معارضة قوية، وأن أمريكا هي العدو الأكبر، وعليه فإن بريطانيا والاتحاد الأوروبي يجب عليهما المقاومة لأقصى حدودها الممكنة»، هذا من وجهة نظر «كلايسون» الذي يعكس وجهة النظر الأوروبية تجاه السلوك الأمريكي.

كما يشير الكاتب «كلايسون» إلى أن مراجعة المجالات والصحف ووسائل الإعلام الأوروبية في آخر ٢٠ سنة؛ تُشعر بالموقف الأوروبي تجاه الولايات المتحدة الأمريكية التي تتصرف بالغرور وإهمال للحلفاء الأوروبيين، ويشير إلى عدد كبير من القضايا؛ منها: نصب صواريخ كروز في أوروبا في الثمانينيات، وحرب الخليج، والبوسنة، وكوسوفا، وأفغانستان. ويشير إلى أن معظم هذه الانتقادات للسلوكيات الأمريكية يأتي من اليسار السياسي في أوروبا.

كما تشير كثير من الدراسات إلى عجز أوروبا عن موازنة أمريكا، خاصة كتاب (Kagan, 2003) الذي يعتقد أن أوروبا ترغب بأن يكون لها نفوذ دولي لكن قدرتها لا تؤهلها لفعل ذلك. كما أن (Kennedy, 2003) يشير إلى الاتجاه نفسه في العلاقات بين أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب على العراق.

كاي (Kaye, 2003 - 04) تقترح عدداً من الأسباب والقضايا التي توجب التعاون والتفاعل بين أوروبا وأمريكا في الشرق الأوسط، وتشمل هذه الأسباب:

- الإرهاب، خطر أسلحة الدمار الشامل، عدم الرضا عن الوضع الراهن في الشرق الأوسط، النفط، إبقاء عملية السلام حية.

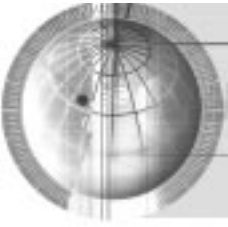
- هناك فرق كبير في استراتيجية كل طرف: فمثلاً أمريكا تُفضّل الأحادية في التعامل؛ بينما تعتمد أوروبا على التعددية في التعامل الدولي، وهذا إلى حد كبير يعطينا استراتيجيات في التعامل مع أوروبا أكثر مرونة من استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية.

- هناك فرق في النظر لعملية السلام: أمريكا تعتقد أن السلام يمر من خلال بغداد؛ بينما تعتقد أوروبا أن السلام يمر من خلال القدس.

- تعتقد أمريكا أن نشر أسلحة الدمار الشامل هو خطر مباشر وعليها الرد فوراً؛ بينما لا ترى أوروبا أن ذلك

(١) انظر: Kemp, 2003 - 2004:176.





الحرب على العراق وتوازن القوى الدولي



يشكّل خطراً فورياً يستلزم الرد العسكري الفوري .

- النظرة إلى الإرهاب مختلفة .

- أن أوروبا غير مرتاحة للدور الذي تم تحديده من قِبَل الولايات المتحدة الأمريكية، فهو حسب تعبير كاي «غسيل الصحون» (Doing the Dishes model of foreign policy)، حيث تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بالعمليات العسكرية حسب رؤيتها، وعلى أوروبا أن تقوم بالعمليات الاقتصادية وحفظ السلام؛ لذا فإن «كاي»^(١) تعتقد أن الثقافة الاستراتيجية وإدارة الدور الأوروبي هما علامان مهمّان في الاختلاف الأوروبي - الأمريكي .

وتقترح كاي^(٢) عدداً من الأمور للتعاون الأوروبي - الأمريكي، تشمل :

- ١ - الابتعاد عن استراتيجية «فرق تسد» التي تستخدمها أمريكا في أوروبا، خاصة ضد مقاومة فرنسا .
- ٢ - البناء على الإسهامات الأوروبية في أمن الشرق الأوسط .
- ٣ - التفاعل الأوروبي حول استراتيجيات الأمن؛ حيث إن أوروبا أصبحت أكثر قلقاً بعد نشر استراتيجية الأمن القومي الأمريكي في عام ٢٠٠٢ م .
- ٤ - تنظيم عمل الرباعية (للحل السلمي) بشكل مؤسسي .
- ٥ - التركيز على الإصلاح الإقليمي .
- ٦ - إعادة عملية الأمن الإقليمي .

وباختصار؛ فإن الشرخ بين أوروبا وأمريكا لا يمكن إصلاحه، وظهرت كثير من الدراسات والتوصيات التي تدعو إلى إعادة ترتيب العلاقات الأوروبية - الأمريكية بما يضمن استمرارية التحالف القديم خلال الحرب الباردة، وهو دليل مباشر على تدهور هذه العلاقات؛ مع أن بعض الدول الأوروبية قد حاولت تخفيف هذا الأمر، لكن أمريكا تدرك أن أوروبا أصبحت الآن تختلف عن أوروبا الحرب الباردة؛ لذا فعليها التعامل معها بشكل جديد وبمنهجية جديدة . وأعتقد أنها قد تكون في مصلحة العرب والمسلمين في المدى الطويل من ناحية استراتيجية .

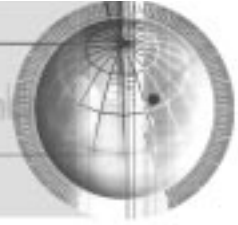
ولن تنسى أمريكا تصريح المستشار الألماني شرودر في شهر سبتمبر عام ٢٠٠٢ م؛ بأن ألمانيا لن تشارك في الحرب على العراق تحت أي ظرف حتى لو أعطي لها الغطاء الدولي في مجلس الأمن الدولي، ويعتقد بعض المراقبين أن هذا الخطاب السياسي معاد للولايات المتحدة، وإن جاء لأسباب انتخابية، وأدى إلى ضريبة وثمان

(١) انظر : Kaye, 2003-2004:190 .

(٢) انظر : Kaye, 2003-2004: 190 .



الحرب على العراق وتوازن القوى الدولي



كبير في العلاقة الأمريكية - الألمانية^(١). ولن تنس مواقف فرنسا المضادة للحرب، فالموقف الفرنسي بالمقارنة مع الموقف الألماني الذي كان محدداً بالحرب على العراق؛ فإن فرنسا.. وخاصة شيراك - من وجهة النظر الأمريكية - أخذ موقفاً مضاداً للولايات المتحدة الأمريكية، وهذا ليس غريباً على الرئيس الفرنسي «شيراك» الذي دعا في نوفمبر ١٩٩٩ م إلى رؤية لعالم متعدد الأقطاب؛ تكون فيه أوروبا قطباً مهماً في التوازن الدولي وللمساعدة في موازنة الولايات المتحدة^(٢).

ويرى (Beruter and Lis)^(٣) أن السلوك الفرنسي في مجلس الأمن أسهم في تركيز فكرة «أوروبا تحاول موازنة القوة الأمريكية» في أذهان الإدارة الأمريكية، وقاد شيراك ووزير خارجية فرنسا حملة مضادة لأمريكا في مجلس الأمن.

وكان رد فعل صناع القرار في الكونجرس الأمريكي وهو ما قاله «Bereuter» رئيس اللجنة الفرعية لأوروبا: «إذا كانت فرنسا تتعامل معنا - يعني أمريكا - كعدو؛ فإنه لا يمكن التعامل معهم كدولة صديقة»^(٤)، إن السلوك الفرنسي أدى إلى ترسيخ وجهة نظر في أمريكا؛ وهي أن فرنسا تحاول التخفيف من الدور الأمريكي في أوروبا ودور حلف الناتو في أمن أوروبا.

وفرح الأمريكيان بإخفاق شيراك في توحيد أوروبا، حيث يعتقدون أن سلوكياته أدت إلى تفتيت أوروبا وظهور المحور الفرنسي - الألماني المعزول، والتهديد الفرنسي للدول الجديدة بأن عليها أن تختار، واستفادت أمريكا من هذه الاختلافات الأوروبية.

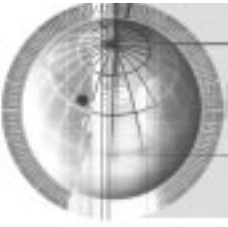
لقد استخدم وزير الخارجية الفرنسي تعبيراً أطلقه على الولايات المتحدة الأمريكية - نشر في مجلة هيرالد تيريبيون الدولية في ٥ / ٢ / ١٩٩٩ م، ضمنه بحث (Ehlert, 2003: 731) - وهو (Hype-power)، ويشير وزير الخارجية الفرنسي بذلك إلى أن القوة التي تملكها الولايات المتحدة الأمريكية عسكرياً وسياسياً وثقافياً لم تمتلكه دولة في تاريخ العالم، ويشير (Ehlert, 2003) إلى أن ذلك يعني أن تجمع القوة في يد دولة واحدة يعبر عن أخطار للجميع في العالم. ويبدو أن تلك هي الفكرة التي بنت عليها فرنسا سياستها الخارجية تجاه أمريكا، ونتج عنها معارضتها للسياسة الأمريكية فيما يتعلق بالحرب الأمريكية على العراق. وفي المقالة نفسها التي يشير إليها (Ehlert, 2003)؛ فإن وجهة نظر «فيدرين» هي أن أمريكا بهذه القوة ستفرض على العالم إدارتها دون النظر أو الالتفات لآراء حلفائها، وعليه فإن الدول العظمى يجب أن تقاوم الولايات المتحدة الأمريكية. ويبدو أن هذه الفكرة لم ينتبه لها إلا الفرنسيون والألمان خاصة في ظل ضعف الآخرين، ولم يستطع العرب بالقيادات السياسية الحالية التعامل معها وفهم هذا السيطرة الأحادية على العالم.

(١) انظر: Bereuter and Lis, 2003-2004:148.

(٢) انظر: Bereuter and Lis, 2003-2004:148.

(٣) انظر: Bereuter and Lis, 2003-2004:148.

(٤) انظر: Bereuter and Lis, 2003-2004: 148- 49.



الحرب على العراق وتوازن القوى الدولي



ملك العراق

ويبدو أن وجهة نظر «فيدرين» في القوة الأمريكية تؤكد لها الدراسات السياسية التي صدرت في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يعتقد «جوزيف ناي» بأنه «لم تأت دولة منذ روما لتسيطر على الآخرين مثل الولايات المتحدة الأمريكية»^(١).

وبالرغم من الاختلاف الأوروبي الأمريكي، والذي تبلور في تباين المواقف من الحرب وأثر ذلك في العلاقات؛ فإن العراق قد استخدم لاختبار النفوذ والهيمنة الأمريكية ومدى قدرة أوروبا على معارضتها، حيث انتصرت أمريكا على أوروبا وعلى الأمم المتحدة التي حاولت أوروبا أن تلجأ إليها. ولم تفعل أوروبا أي شيء لإثبات قوتها؛ لأنها -مقارنة بالولايات المتحدة التي تملك القوة وتستخدمها؛ لا تملك قوة ولا تريد استخدامها. لقد ضيقت أوروبا فرصة تاريخية للإبقاء على دور فاعل لها في العالم العربي، لكن أمريكا سبقتها وهمّشت دورها في المنطقة؛ حتى صارت السياسة الأوروبية لا تأثير لها في العالم العربي مقارنة بالسياسة الأمريكية.

خيارات العالم الإسلامي:

يبدو أن السيطرة الأمريكية على العالم مستمرة من خلال الواقع الراهن للدول العظمى، وهو ما تمت مناقشته في هذا الدراسة فيما يتعلق بقدرات الدول العظمى الأخرى.

لكن الظروف السياسية يمكن أن تتغير؛ خاصة فيما يتعلق بمستقبل العراق الذي يتوقف عليه مستقبل الهيمنة الأمريكية على العالم، فنجاح أمريكا في العراق يعني مزيداً من النفوذ والهيمنة الأمريكية والتدخل في شؤون العالم، لكن بالنظر إلى الواقع هناك شك في مدى نجاح أمريكا في إعادة بناء العراق، فالتجربة التاريخية للولايات المتحدة الأمريكية في التدخلات العسكرية لإعادة بناء الدول، وعددها ١٦ تجربة منذ تأسيس أمريكا، لم ينجح منها إلا أربع تجارب فقط، ومع ذلك فإن طبيعة الحالات التي تدخلت فيها أمريكا مختلفة بشكل كبير عن طبيعة الحال العراقية؛ لذا فإن نجاح أمريكا في العراق على نحو مشابه لنجاحها في ألمانيا واليابان أمر مشكوك فيه على المدى القصير والبعيد؛ لأن العراق لا توجد فيه المؤهلات التي في كل من ألمانيا واليابان^(٢).

فخيار المقاومة العراقية أثبت أنه من الاستراتيجيات الفاعلة لمقاومة الهيمنة الأمريكية^(٣)، وأثبتت الحرب على العراق أن مفهوم القوة قد تغير، فلم تعد الأسلحة المتطورة قادرة على القضاء على قدرات الأفراد البسيطة؛ لأنها لا يمكن استخدامها إلا في حالة القضاء على الجميع، وهو أمر لا يمكن أن تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية؛ لذا فإن القوة الأمريكية لا بد من إعادة التفكير بها في ضوء القدرة على الحد من مقاومتها.

إن خيار المقاومة بجميع أصنافها ضد الولايات المتحدة الأمريكية هو خيار استراتيجي على جميع الصعد

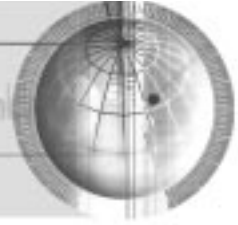
(١) انظر: هياجنة، ٢٠٠٣ م.

(٢) انظر: Dobbins and others, 2003, Pei, 2003.

(٣) انظر: Graham, 2003.



الحرب على العراق وتوازن القوى الدولي



وفي دول العالم الإسلامي كافة؛ حيث تركز أمريكا سياستها الإعلامية من أجل الضغط على هذه الدول من أجل الحد من الكراهية الصادرة من شعوبها ضد الولايات المتحدة الأمريكية، ومع ذلك فإن الأساليب الأمريكية تزيد من الوعي الاجتماعي والسياسي، وتزيد من كراهية الولايات المتحدة الأمريكية^(١).
لكن سلوكيات بعض الأنظمة السياسية بالخنوع للمطالب الأمريكية تهدد مستقبل هذه المقاومة خاصة بالضغط على شعوبها من أجل إرضاء الإدارة الأمريكية^(٢).

والخيارات العربية الإسلامية لا بد أن تكون خيارات داخلية، ولهذا فإن الحل لا بد أن يأتي من الداخل، فتجارب العرب والمسلمين مع الآخرين تجارب مريرة ولم يساندتهم أحد، ففي عالم يسوده مبدأ المساعدة الذاتية؛ على الدول العربية والإسلامية أن تنحاً منهجاً عملياً لمساعدة ذاتها على جميع الصعد.

واغتنام فرصة الدعوة للانفتاح السياسي والديمقراطي في العالم العربي من الفرص المهمة جداً، والتي على الفعاليات الشعبية أن تستفيد منها حتى تصل إلى مواقع صنع القرار، وهي المستفيد بكل الأحوال ليس فقط لإخراج أمريكا؛ بل لتتولى أمورها بيدها وتفرض سيطرتها على شؤونها الداخلية والخارجية.

لا بد أن نعترف - مسلمين وعرباً - أننا أمام هجمة صهيونية غربية ضد المبادئ الأساسية للإسلام؛ لذلك فإن خلق ثقافة إسلامية وفكر إسلامي هو السبيل الوحيد للمحافظة على الهوية الإسلامية. فمثلاً السلوكيات التي قامت بها بعض الدول الغربية لمنع الحجاب سيؤدي إلى قيام مدارس عربية إسلامية تدعم الثقافة العربية الإسلامية؛ لذا فإننا نرى في ذلك أمراً إيجابياً إذا كان سيؤكد للعرب ثقافتهم، ويحرج المطالبين بالديمقراطية والمساواة غروراً بالنموذج الغربي؛ فالغرب هو الغرب سواء كان أمريكا أو فرنسا.

لا بد من الإيمان والاعتقاد الأساسي أن الاختلاف بين أوروبا وأمريكا، هو ليس من أجل العرب والمسلمين بل هو من أجل التنافس على المصالح؛ لذا فما الذي يُفسّر عدم الفعل الدولي للتدخل ضد أمريكا في حربها على العراق؟!

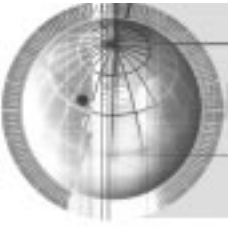
أيقن كثير من المفكرين في العالم العربي والإسلامي بمختلف مشاربهم بأنهم أمام حملة شعواء من قبل أمريكا والغرب؛ لذا عليهم العمل لتشكيل جبهة عربية إسلامية للتعامل فكرياً وعملياً مع هذا الواقع، استغلالاً لظروف عودة علماء العرب والمسلمين من الغرب وأمريكا، بالإضافة إلى رؤوس الأموال، ويجب إقناع الكثير من الأنظمة العربية بأن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية التي لن تنتهي إلا بتدمير ما هو إسلامي.

ولا بد من المحافظة على فكر التفاؤل والأمل لدى الشباب العربي والإسلامي في ظل مرحلة الانحطاط والإحباط التي تمر بها الحضارة العربية الإسلامية في الوقت الراهن؛ لأنها خط الدفاع المهم، حيث انهارت

(١) انظر: Carothers, 2003.

(٢) انظر: Susser, 2003.





الحرب على العراق وتوازن القوى الدولي



ملك العراق

خطوط الدفاع التي اكتشف فيما بعد بأنها خطوط وهمية حين سقطت الدول كما تسقط عمارات الكرتون .
وسلخ الشباب العربي والإسلامي عن واقعه العربي والإسلامي ، وتضييع هويته ؛ هو ما يسعى إليه الأعداء
من فيهم بعض العرب والمسلمين لضمان استمرارية هذا الواقع الراهن والاستفادة منه .

وإحباط المخططات الأمريكية والغربية يكون برفض إعطاء الشرعية للتدخل والوجود الأجنبي في المنطقة ،
فماذا تريد أمريكا من العالم العربي والإسلامي بعد أن استغلت ثرواته وضيعت حقوقه في فلسطين من خلال
معاهدات السلام واتفاقيات الهدنة - حُفّن التخدير الموضعي - ؟ هل تريد من هذه الشعوب القبول الثقافي بهذا
الواقع الأمريكي ، وأن يصبح جزءاً من الثقافة العربية؟ فنحن لسنا أمام محاولة لمؤامرة أمريكية للحصول على
القوة العربية مثل النفط وغيره فحسب ؛ بل أمام معركة واضحة كعين الشمس تحاول أن تنتصر فيها الولايات
المتحدة الأمريكية على الذات العربية والإسلامية .

ومقومات القوة التي تمت مقارنتها على عدد من الدول العظمى في العالم تطبق على العالم العربي ،
فمشكلة القوة العربية ليست مشكلة مصادر وقوات عسكرية ومعدات حربية بل هي مسألة إرادة سياسية ؛ فإذا ما
كانت هناك إرادة سياسية للتعامل مع الولايات المتحدة الأمريكية حفاظاً على الهوية العربية والإسلامية ؛ فإن
التجارب التاريخية تؤيد ذلك ، وعليه فلا بد أن تستفيد الدول العربية والإسلامية من تجربة العراق في التعامل
مع الولايات المتحدة الأمريكية والأهم التعامل مع شعوبها ؛ لأنهم ومن خلالهم يحصلون على مصادر القوة
والاستمرارية ، وأما الارتقاء في أحضان أمريكا فهو ما سيجلب مزيداً من المخاطر للدول والشعوب على حد
سواء .

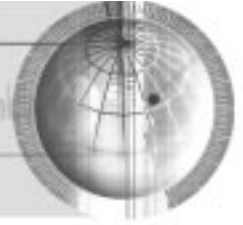
إن السلوكيات التي انتهجتها بعض الدول العربية من أجل مجاراة المطالب الأمريكية ليست حلولاً واقعية
بل هي حلول وقوعية ، سيكون لها نتائجها الخطيرة على مستقبل هذه الدول ؛ لأن المطالب الأمريكية لن تنتهي
من هذه الدول ، ولأن تقديم التنازلات هو دعم لنجاح الاستراتيجية الأمريكية التي نُشرت في سبتمبر عام
٢٠٠٢م ، ويبدو أن كثيراً من دول العالم العربي والإسلامي لم تفهم هذه الاستراتيجية بعد ، والتي ينبغي على
العرب والمسلمين إحباطها .

ولا يتم إحباطها إلا بالآتي :

الاستراتيجية الأمريكية تقوم على مبدأ أساسي ومهم وهو الضربة الاستباقية (Pre-emption) ، وتعتقد أن
سقوط العراق والسلوك الأمريكي الذي أدى إلى ذلك سيؤثر في بقية دول العالم خاصة دول العالم العربي
والإسلامي ، بحيث تتعلم الدول الأخرى مما حدث للعراق ، وتصبح عقلانية من وجهة النظر الأمريكية لتسلك
سلوكيات حسب المحددات والمواصفات الأمريكية ؛ لكن إذا لم تستجب الدول العربية للمطالب الأمريكية ؛
فإن ذلك سيشكل إخفاقاً للاستراتيجية الأمريكية ؛ بحيث ترغب أمريكا على محاربة كل دول العالم التي لا



الحرب على العراق وتوازن القوى الدولي



تتماشى سياساتها مع الرغبات الأمريكية . وأمريكا لا تستطيع شن حرب على كل دول العالم العربي والإسلامي ، فذلك سيعني إخفاق الاستراتيجية الأمريكية^(١) .

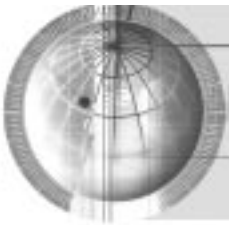
والسلوكيات العربية والإسلامية يجب أن تركز على إحباط الاستراتيجية الأمريكية ، وهذا سيعتمد بالضرورة على نجاح أو إخفاق أمريكا في العراق ؛ لأنها ستكون المعيار الأساسي للتعامل الأمريكي مع العالم الإسلامي في المنطقة ؛ لذا فمن الحكمة ألا تستعجل الدول العربية والإسلامية الاستسلام لأمريكا والارتقاء في أحضانها ؛ لأن ذلك وإن كان سيحميها لوقت قصير ؛ فإن أمريكا ستعود لابتلاعها في وقت ليس ببعيد .

ويبدو أن الممارسات الفعلية لكثير من الدول العربية تشير إلى عكس ذلك ؛ لذا سنرى مزيداً من التدخلات الأمريكية في شؤون العالم العربي الإسلامي .

وفي الخاتمة لا بد من أن يستفيد العرب من المقولة الأمريكية : «إذا وجدت نفسك في حفرة فتوقف عن الحفر» ؛ لأن مزيداً من الحفر سيزيد من عمق المأزق الذي أنت فيه .

(١) انظر : Abrahms, 2003, Powell, 2004 .





الحرب على العراق وتوازن القوى الدولي



المراجع:

- هياجنة، عدنان. ٢٠٠٣م، « القوة الأمريكية ومستقبل العلاقات مع العالم الإسلامي » في : مستقبل العالم الإسلامي : تحديات في عالم متغير - تقرير استراتيجي سنوي يصدر عن مجلة البيان ، ص ٢٤٣ - ٢٥٨ .
- Abrahms, Max. 2003. "When Rogues Defy Reason: Bashar's Syria". Middle East Quarterly. Fall: 45-55.
- Bereuter, Doug and John Lis. 2003-2004. "Broadening the Transatlantic Relationship". The Washington Quarterly. 27(1): 147-162.
- Berezkin, G.A. 2003. "Lesson from the War in Iraq". Military Thought. 139-147.
- Caron, David D. 2003. "Between Empire and Community: The United States and Multilateralism 2001-2003: A Mid-Term Assessment. Berkley Journal of International Law. 21: 394-404.
- Carothers, Thomas. 2003. "Promoting Democracy and Fighting Terror". Foreign Affairs. (Jan/Feb: 82(1).
- Clausen, Christopher. 2002. "Barking at the Superpower". New Leader. 85(5) 16-19. Internet Ed.
- Dobbins, James and others. 2003. America's Role in Nation-Building: From Germany to Iraq. Rand.
- Ehlert, Allison. 2003. "Iraq: At the Apex of Evil". Berkley Journal of International Law. 21: 731-770.
- Hale, David and Hughes Lyric Hale. 2003. "China Takes Off". Foreign Affairs. 82(6): Internet Ed.
- Henderson, Simon. 2003. The New Pillar: Conservative Arab Gulf States and U.S. Strategy. The Washington Institute for Near East Policy.
- Hunter, Robert E. 2003-2004. "Europe's Leverage". The Washington Quarterly. 27(1): 91-110.
- Gareev, M. A. 2003. "Military-Political Conclusions. Military Thought. 164-175.
- Jentleson, Bruce W. "Tough Love Multilateralism". The Washington Quarterly. 27(1): 7-24.
- Kagan, Robert. 2003. "Looking for Legitimacy in all the Wrong Places". Foreign Policy & Carnegie Endowment Special Report: From Victory To Success: Afterwar Policy in Iraq. Pp: 70-72.
- Kaye, Dalia Dassa. 2003-2004". Bound to Cooperate? Transatlantic Policy in the Middle East". The Washington Quarterly. 27(1): 179-195.
- Kennedy, Paul. 2003. Old Europe Cannot Be a Counterweight to the American Imperium. NPQ. Summer: 18-23.
- Kemp, Geoffrey. 2003-2004. "Europe's Middle East Challenges." The Washington Quarterly. 27(1): 163-177.
- Knox, Michael Beran. 2003. "The Two Europes". National Review. 55(14): Internet Ed. (7/28/2003).
- Medeiros, Evan S. and Fravel M. Taylor. 2003. China's New Diplomacy". Foreign Affairs. 82(6): Internet Ed.
- Morse, Edward L. and James Richard. 2002. "The Battle for Energy Dominance". Foreign Affairs. (March/April, Internet Ed.)
- Ottaway, Marina. 2003. "Promoting Democracy in the Middle East: The Problem of U.S. Credibility". Carnegie Endowment for International Peace, p25.
- Pei, Minxin. 2003. "Lessons of the Past". Foreign Policy & Carnegie Endowment Special Report: From Victory To Success: Afterwar Policy in Iraq. pp: 52-55
- Powell, Colin L. 2004. "A Strategy of Partnerships". Foreign Affairs. (January/February, Internet Ed).
- Rumer, Eugene B. and Celeste A. Wallander. 2003-2004. "Russia" Power in Weakness? The Washington Quarterly. 27(1): 57-73.
- Sutter, Robert. 2003-2004. "Why Does China Matter?" The Washington Quarterly. 27(1): 75-89.
- Susser, Asher. 2003. "The Decline of the Arabs". Middle East Quarterly. Fall: Internet Ed.
- Washington Post. 2003. November Deadliest Month in Iraq. (Article by Bradley Graham, Nov. 29, p. A14).

